# تاريخ مقاومة آل ماء العينين للاستعمار الفرنسي من خلال «المعسول» لمحمد المختار السوسي

البشير أبرزاق*

## تقديم

تعد مؤلفات المؤرخ محمد المختار السوسي من أهم المصادر العربية المغربية لتاريخ سوس والجنوب المغربي، لما تتضمنه من مادة تاريخية وافرة، بيد أنه لم يستثمر منها إلا النزر اليسير من قبل الباحثين. ومن أهم القضايا التي ما تزال في مسيس الحاجة إلى الدراسة والإخراج من زوايا النسيان، قضية تأريخه لحركات المقاومة بالجنوب المغربي.

وتهدف هذه الورقة - تماشيا مع أهداف هذه الندوة - إلى البحث في واحدة من حركات المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي التي قادتها أسرة ماء العينين الصحراوية خلال النصف الأول من القرن العشرين من 1904 إلى 1934، كما قدمها المؤرخ محمد المختار السوسي من خلال موسوعته «المعسول»، وذلك عبر استقراء وتحليل أحداث وأطوار هذه المقاومة. وسيكون ذلك عبر محورين رئيسيين:

أولهما: السياق التاريخي لمقاومة آل ماء العينين للاستعمار الفرنسي بالجنوب.

وثانيهما: حول محمد المختار السوسي وتأريخه لمقاومة آل ماء العينين من خلال «المعسول».

### أولا - مقاومة آل ماء العينين للاستعمار - وضع في السياق:

تجد الأحداث والظواهر التاريخية تفسيراتها في الظروف التي أنتجتها. وإذ أن الأمر كذلك فإن دراسة ظاهرة المقاومة المغربية ضد الاستعمار الأجنبي عامة (ومقاومة آل ماء العينين خاصة)، لا يمكن أن تتم بمعزل عن سياقها التاريخي سواء على المستوى الوطني أو الدولي. فما السياق التاريخي العام الذي جاءت فيه هذه الحركة ؟

* باحث من مدينة طاطا عضو بمجموعة البحث والدراسات حول ساحل الصحراء، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية -جامعة ابن زهر بأكادير.

تعتبر فترة حكم السلطان الحسن الأول (1873-1894) مرحلة حاسمة في تاريخ المغرب المعاصر، لما شهدته خلالها بنيات الدولة المغربية من تحولات جوهرية، إثر تزايد قوة الضغوط الخارجية عليها.

وقد واجه خلفه المولى عبد العزيز في الفترة ما بين (1900-1906) مشاكل ضخمة، تجاوزت، «لود تجربته المتواضعة في الحكم. ويصف روم لاندو هذه الفترة قائلا: «ومنذ سنة 1900 أخذ العالم يراقب المأساة المضحكة، ألا وهي تحطم ملك أثبت أنه أضعف من أن يقاوم العوامل الهدامة التي وجد نفسه فيها»[1]، ولقد نتج عن هذا أن فشل عبد العزيز في سياسته الإصلاحية الإدارية والجبائية.

ولقد زاد الأمر استفحالا قيام العديد من الثورات الاجتماعية ذات الأبعاد السياسية. كان أهمها ثورة الجيلالي بن إدريس الزرهوني المعروف بـ «بوحمارة» بدءا من سنة 1902 [2]. وهي الثورة التي زادت قوتها بشكل جعل منها خطرا يهدد استقلال البلاد ووحدتها الترابية[3].

ولقد تطلب مواجهة الثورة أموالا ضخمة لتغطية نفقات الحملة العسكرية، الأمر الذي جعل المخزن العزيزي يخضع بشكل أو بآخر للرقابة الأجنبية من خلال سياسة القروض من الدول الأوربية، فكانت النتيجة أن قيدت حرية المخزن واستفحلت الوضعية الاقتصادية والمالية للبلاد.

وفي هذه الظروف قررت الدول الأوربية مصير المغرب بما يخدم مصالحها فقط، وحسمت الأمر لصالح فرنسا وإسبانيا. إذ في نونبر 1902 اعترفت فرنسا بمصالح إيطاليا وحقوقها في ليبيا مقابل اعتراف هذه الأخيرة بمصالح فرنسا في المغرب. ثم عقدت مع ابريطانيا الاتفاق الودي في 8 أبريل 1904 الذي أطلق يد بريطانيا في مصر، مقابل حرية تصرف فرنسا في المغرب.

كما يُسجَّل خلال سنة 1905 التدخل القوي لألمانيا في المسألة المغربية لأن المنافسة الفرنسية - الألمانية على المغرب، كانت قد اشتدت، وخلق ذلك ما يعرف في

1- روم لاندو، تاريخ المغرب في القرن العشرين، ترجمة نيقولا زيادة، الطبعة 2، 1980، دار الثقافة بيروت، ص: 61.
2- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 3، ط 2، دار الرشاد الحديثة، صفحات : 291-292-293-294.
3- جلال يحي، المغرب الكبير، ج 3، دار النهضة العربية بيروت، 1971، ج 3، ص : 508.

العلاقات الدولية بالأزمة المغربية التي اعتبرت إحدى أخطر الأزمات السياسية الدولية التي سبقت الحرب العالمية الأولى. وفي هذا السياق أيضا بدأت تحركات الريسوني الذي تمرد على المخزن وناهض سياسة مولاي عبد العزيز. وقام بعمليات هددت سلطة المخزن وسيطرته على البلاد[1].

وفي ما بين 15 يناير و7 أبريل من سنة 1906، انعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء، الذي يمكن أنه جعل من المغرب محمية فرنسية - إسبانية. ولقد كان لفرض أوربا لقرارات هذا المؤتمر على المغرب تأثيرا واضحا على الرأي العام في البلاد[2]. وتشكل نازلة خلع السلطان مولاي عبد العزيز ومبايعة أخيه السلطان مولاي عبد الحفيظ أبرز حادثة عرفتها الحياة السياسية المغربية في البدايات الأولى من القرن العشرين[3]، كما أن الشروط التي على أساسها تمت مبايعة مولاي عبد الحفيظ في يناير 1907، جعلته يواجه قوتين على طرفي نقيض، قوة محلية تطالبه بالوفاء لشروط البيعة، وقوة أجنبية ترفض الاعتراف به ما لم يتنكر لتلك الشروط. وكان استسلامه لفرنسا باعثا في قيام تمردات، استعان في إخمادها بالجيش الفرنسي الذي احتل بعد ذلك فاس ومكناس والرباط، وما تبقى من أراضي المغرب الشرقي. وفرضت الحماية على السلطان مولاي عبد الحفيظ في 30 مارس 1912، ليتولى الإدارة المخزنية التقليدية بعده - خلال الفترة المدروسة (النصف الأول من ق 20) - مولاي يوسف (1912-1927) ثم مولاي محمد بن يوسف (1927-1961).

ولعل الهدف من بسط الحماية الفرنسية والإسبانية على المغرب هو الوصول إلى استغلال خيرات البلاد الطبيعية والاقتصادية والبشرية. ومن أجل تحقيق تلك الغاية فقد أنشأت السلطات الاستعمارية كل واحدة في مناطق نفوذها هياكل ومؤسسات إدارية واقتصادية جديدة بديلة عن التي كانت فيما قبل، وسنت قوانين كلها في خدمة قضيتها الاستعمارية، ولقد انعكس ذلك كله سلبا على أوضاع المغرب والمغاربة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا. وكان رد فعلهم أن هبوا لمقاومة ذلك المستعمر مقاومة مسلحة، امتدت في مرحلتها الأولى إلى غاية 1934، شملت كل جهات المغرب. وفي هذا الصدد يتحدث جلال يحيى ويقول: «إذا كانت عمليات أحمد الهيبة بن ماء العينين قد أقلقت

1- جلال يحي، م.س.ج 3، ص. 510.
2- م.س.، ج. 3، ص. 613.
3- إسماعيل الحسني: أنموذج مغربي من الفقه السياسي في القرن العشرين، مجلة فكر ونقد العدد 44، دجنبر 2001. ص. 67.

السلطات الفرنسية بالمغرب، فإن إعلان الحماية قد سمح لهذا المجاهد بالزحف شمالا وبشكل سمح له بدخول مراكش عاصمة الجنوب... وظهر عدد من القادة في منطقة تافيلالت مثل السملالي موسى، وتزعموا الثورة ضد الحماية الفرنسية، كما ظهر مجاهد آخر في الشمال عمل على قيادة الأهالي، وبدأ بهم حرب عصابات منظمة ضد الفرنسيين، وكانت قبائل منطقة فاس لا تزال في ثورتها المعلنة»[1]. ولقد عجز التاريخ على أن يوفي أولئك المجاهدين المغاربة الذين قاوموا الاحتلال حقهم حتى الآن.

وإذا كان الجنرال ليوطي قد سجل اسمه في تاريخ المغرب على أنه هو الذي أتم التهدئة، وأنشأ للبلاد إدارة جديدة، فإنه قد عمل في الواقع على تهيئة الجو الملائم لكي تتمكن فرنسا فيه من استغلال المغرب اقتصاديا واستراتيجيا وبشريا[2].

ثم جاءت بعد هذه المرحلة فترة نشطت فيها المقاومة السياسية، والتي طالب في بدايتها رجال الحركة الوطنية بالإصلاحات والمساواة مع الفرنسيين المقيمين في المغرب.

ولقد أجمع العديد من الدارسين عرباً كانوا أو أجانب أن الحركة الوطنية عامل حاسم في تاريخ المغرب الحديث[3].

ومنذ الأربعينات من القرن العشرين حصل تحول مهم في مسار النضال السياسي للحركة الوطنية إذا انتقلت من المطالبة بالإصلاحات إلى المطالبة بتقرير المصير والاستقلال. وعن هذا التحول يتحدث روم لاندو ويقول: «كانت مطالب الوطنيين في السنوات الأولى منخفضة ولم يطلبوا الحكم الذاتي التام، وفي الواقع، أنهم لو طالبوا بتمثيل هذا الأمر لكانت مطالبتهم به غير واقعية. فالبلاد لم تكن مستعدة بعد لتحكم نفسها لا سياسيا ولا اقتصاديا... وإدخال إصلاحات معينة كانت الإدارة تعد بإدخالها لسنوات عديدة... وفي سنة 1945 كانوا قد قرروا بأن حقوق المغرب لا يمكن أن تضمن إلا عن طريق الاستقلال التام، وبذلك يمكنها أن تسير في طريق الديمقراطية، الأمر الذي اعتبروه أساسيا فيما إذا كان المغرب يعتزم أن يقوم بدوره الصحيح في العالم الحديث»[4].

1- جلال يحي، م.س، ج 3، ص. 689.
2- جلال يحي، م.س، ج 3، ص. 690.
3- روم لاندو: م.س.، ص. 190.
4- روم لاندو: م.س.، ص. 192.

في ظل هذه الظروف إذن جاءت المقاومة التي قادها آل ماء العينين في الصحراء المغربية. فكيف أرخ المؤرخ محمد المختار السوسي لهذه المقاومة؟

**ثانيا – «المعسول» والتأريخ لمقاومة آل ماء العينين :**

**أ- مقاومة الشيخ ماء العينين (1904-1910) :**

استهل المؤرخ محمد المختار السوسي تأريخه لحركة الشيخ ماء العينين بتقديمه إفادات تهم نسبه ومختلف أعماله في الصحراء، وما كان يحظى به من مكانة علمية وروحية هناك.

ولقد كان الوعي المبكر للشيخ ماء العينين بالمخططات الاستعمارية التي تحاك ضد بلده المغرب، إضافة إلى تربيته الصوفية الجهادية، مقومين أساسيين وجها مسار حياته بشكل كبير. هكذا نراه يتصل بالسلطان مولاي عبد العزيز (1900-1908) طلبا للسلاح[1]، لمواجهة التهديدات الاستعمارية للصحراء. وفي إطار جهاده ضد الاستعمار قاد الشيخ ماء العينين المقاومة ضد الفرنسيين انطلاقا من زاويته بالسمارة، ليتمكن فيما بعد من تحقيق جملة من الانتصارات خاصة في تيزنيت، إلى أن توفي سنة 1910.

لقد قدم المختار السوسي في معسوله تعريفا مهما لصفحة من صفحات مقاومة الشيخ ماء العينين بتخوم الصحراء، باعتبارها النواة التي أسست لحركة المقاومة هناك.إلا أنه باستقصاء بعض الدراسات العربية والأجنبية، نجد أن للرجل أدوارا أخرى، نذكر منها:

- التنسيق بين المخزن وقبائل شنقيط وأدرار، بعد أن كان سنة 1888 ممثلا للمخزن المغربي في الجنوب الصحراوي[2].

- ما كان بينه وبين السلطان مولاي عبد العزيز من اتصالات، إذ أرسل هذا الأخير مولاي إدريس بن عبد الرحمان بن سليمان إليه خليفة عنه، وبعث معه عدة ظهائر لتعيين عدد من القواد[3].

---

1- محمد المختار السوسي، **المعسول**، الجزء الرابع، مطبعة النجاح الدار البيضاء، 1960، ص. 91.

2- علال الخديمي، التدخل الأجنبي والمقاومة بالمغرب (1894-1910)، مطبعة أفريقيا الشرق، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، 1990، ص. 193.

3- محمد الغربي، الساقية الحمراء ووادي الذهب، الجزء الأول، دار الكتاب الدار البيضاء، بدون تاريخ، ص 340 وما بعدها.

ونتيجة لهذا النشاط في أقاليم تكانت البراكنة وأدرار، وللأسلحة العصرية التي وزعها الشيخ ماء العينين على القبائل، نشطت حركة الجهاد ضد الفرنسيين، وخاصة قبائل أدرار حيث قتل بها كوبولاني (copolani) أحد رواد التسرب الفرنسي بالصحراء في 12 ماي 1905 [1].

### ب- أحمد الهيبة وحركته (1912-1919):

لا يمكن فهم واستيعاب المقاومة التي قادها أحمد الهيبة ضد الاستعمار الفرنسي بمنطقة الجنوب المغربي بمعزل عن حركة والده السالفة الذكر. إذ بإعلان الحماية على المغرب في 30 مارس 1912 قاد أحمد الهيبة المقاومة التي وُضعت لبناتها الأولى من طرف أبيه.

والمتتبع لفصول ما قدمه المؤرخ السوسي عن كفاح هذا الرجل، ليرى أنه أجاب عن إشكالية أساسية تبحث في جدلية تحول هذه المقاومة من مجال التنظير إلى مجال الممارسة الميدانية. ذلك أن الأزمة السياسية الخانقة التي عرفها المغرب غداة فرض الحماية عليه، أذكت في نفوس أهل سوس، خاصة التيزنيتيين منهم، روح الغيرة الوطنية، خاصة وأنهم «أقدر على إنقاذ الموقف»[2]، ولم يجلوا غير أحمد الهيبة قائدا لثورتهم. فتهيأت الخطوط الأولى لحركته ابتداءا من أواسط 1912، حيث قاد الدعاية له قواد وأعلام وفقهاء سوسيون أمثال: القايد عياد والقائد عبد السلام الجراري والفقيه مبارك أبو الباكور التيزنيتي، وكانت الحمية الدينية والغيرة الوطنية الأصل الأصيل في ذلك[3]. وكانت نتيجة ذلك أن انعقد مؤتمر للمستجيبين لهذه الفكرة في تيزنيت في 18 جمادى الأولى 1330هـ/1912م، عين خلاله أحمد الهيبة عددا من القادة، كالقائد حيدة (كبير المحلة) والعربي الضرضوري (العلاف) وآخراً يسمى الطيب (الأمين الكبير) كما عين أخاه الشيخ النعمة خليفة على تيزنيت وعلى كل القبائل الجنوبية[4].

هكذا، وبين عشية وضحاها أصبح أحمد الهيبة قبلة كل الآمال، وقد صور المختار السوسي حالة «اهتبال الناس به كمنقذ للأمة بعدما مد إليها الاحتلال مخالبه»[5].

---

1- Charles a julien, les africains, t 12, paris, 1978, p 192.

2- المختار السوسي، المصدر السابق، ج 4، ص. 104.
3- نفسه، ص 105-106.
4- نفسه، ص 125.
5- المصدر السابق، ص 109.

وفي خروجه من تيزنيت قاصدا مراكش، نزل أحمد الهيبة بمجموعة من المنازل دخل مراكش في الأخير.

وإذا كانت مراكش قد فتحت أبوابها بسهولة أمام الهيبة، فقد اهتز العالم بدخوله بها، وهرع أذناب الحماية بمراكش أمثال التهامي الكلاوي إلى ربط الاتصالات مع دارة الفرنسية، «وأبرموا معهم ما أبرموا بغاية الدقة» مما جعل الهيبة يتهيأ للتعرض جيش الفرنسي الزاحف. والتقى الجمعان بسيدي بوعثمان يوم 7 شتنبر 1912، «وقاوم اس مقاومة شديدة، وقد بذل القائد حيدة جهدا كبيرا. ولاتزال الحرب قائمة إلى أن دلكت شمس وانتهت تلك المواجهة بهزيمة الهيبة وأصحابه، ففر القوم، كما خرج الهيبة هو خر في اتجاه تارودانت، ولم يبق بمراكش إلا عبد السلام الجراري والقائد حيدة والقائد با باشا تارودانت، وقد اتصل هؤلاء برجال الحماية فأعلنوا نفض أيديهم من أمر الهيبة، د أسرع الباشا كابا ليسبق أحمد الهيبة إلى سوس»[1].

هكذا خلت الحمراء من المقاومين الصحراويين والسوسيين وأميرهم، فبقيت مراكش ذ تلك اللحظة في قبضة الاحتلال الفرنسي إلى بدايات النصف الثاني من القرن العشرين. ضحى احتلال عاصمة الجنوب ودخول لأمر الهيبة في خبر كان، وبالنهاية التي انتهى يها الهيبة في مراكش «ذهبت تلك الحركة التي قامت لتناوئ الاحتلال هباء منثورا، حين تجد من أعراب الصحراء من كانوا للقيادة أكفاء، مع أن الشعب التف حولهم بسرعة غيرة الوطنية الملتهبة إذ ذلك في الصدور»[2].

وبهذه النكبة أصبح كل ما وراء الأطلس من الشمال قد امتنع عنه. وبدخول الهيبة ارودانت راوده القائد حيدة حليف الأمس أن يدخل مع حكومة مولاي يوسف ومع الدولة حامية في مصالحة، لكن رفض الهيبة لذلك جعل حيدة يعلن الحرب عليه، سياسة خابرة ثم محاربة في الأخير.[3]

وكان أول ما صنعه الهيبة بعد استقراره في تارودانت أن ولى باشوية المدينة للقائد حمد بن حميدة الهواري الذي كان هو وقواد آخرون يقاومون الجماعة الأخرى التي يرأسها

- نفسه، ص 151-152.
- نفسه، ص 158.
- نفسه، ص 164-165.

القائد حيدة الذي أصبحت الحكومة الفرنسية تمده بكل ما يحتاج إليه[1].

وموازاة مع ذلك كان الجنوب المغربي/ السوسي بعد هزيمة مراكش في حالة من السخط وعدم الرضى على مواقف الهيبة، ولم يبق معه -حسب المختار السوسي - «الا الحاحيين الذين لا يزالون يناصرونه».

وفي ظل هذه الظروف طُرد ممثل الهيبة بتيزنيت "الشيخ النعمة"، ليتولى القيادة فيها ابن دحان[2]. وبذلك تكون تيزنيت المنطقة الأولى التي آوت وناصرت الهيبة والمنطقة الأولى كذلك التي نفضت أيديها عن حركته.

في استقرائنا لتأريخ محمد المختار السوسي لحركة أحمد الهيبة، يبدو واضحا غِنى المعطيات التاريخية التي قدمها لنا «المعسول» عن هذه الحركة مقارنة مع حركتي سلفه وخلفه في الجهاد. ومن أمثلة ذلك نجد ما يفيد في تبيان دور الشعر والشعراء في إحياء روح المقاومة في نفوس المقاومين وقائدهم، أمثال الشاعر الطاهر الأفراني الذي كان يجعل من قصائده وسائل للتسلية على الهيبة جراء نكباته.

هذه الملاحظة قادتنا إلى ملاحظة أخرى مفادها: تركيز المؤرخ السوسي وفي مواطن كثيرة على تحركات الهيبة في المجال السوسي وبعلاقته بتيزنيت ومراكش وتارودانت. فهل كانت حركة الهيبة حبيسة هذه المناطق؟ ألم تتجاوزها إلى منبتها بالتخوم الجنوبية الصحراوية المغربية ؟ وهل هذا السكوت يرجع إلى المهمة التي كلف بها المختار السوسي نفسه، أي التأريخ لسوس، فاقتصر بالتالي في تأريخه لمقاومة الهيبة في علاقتها بمجال السوسي؟

وإذا كانت مقاومة أحمد الهيبة قد ارتكزت على عدة مقومات ومثلت بالتالي نموذجا لـ «حركة تحريرية». فإن هزائمه تعكس مظاهر الخلل فيها. في ثلاثية تتمثل في: الأسس، القوة، الضعف، مدفونة في المادة التاريخية التي قدمها المختار السوسي. فعلى مستوى الأسس، نجد أن مقاومة الهيبة قامت على ثلاثة مقومات رئيسية وهي:

- الأساس الجهادي: الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي والتصدي لمخططاته في المنطقة.

1- نفسه، ص 165.
2- نفسه، ص 171-179.

- الأساس السياسي : الرغبة في مليء الفراغ السياسي في مغرب مطلع القرن العشرين.
- التفاعل بين الأساسيين السابقين، وظروف الجنوب المغربي في سوس والصحراء.

أما مظاهر القوة فيمكن رصدها في الجوانب التالية:

- التفاعل بين مكونات المجتمع السوسي (الفقهاء، القضاة، شيوخ القبائل) وبين حركة أحمد الهيبة.
- حملة الهيبة على مراكش.
- استثمار وضعية مراكش قبيل زحف المقاومة عليها.

إلا أن ذلك لم يمنع من أفول نجم هذه الحركة، لتخفق «تلك الثورة في النتيجة التي يأملها من أججوا نارها»[1]. ويرجع ذلك إلى سبعة عوامل أساسية وهي : إغفال عنصر القوة والتنظيم رغم حرارة الحماس والإيمان عند المقاومين، ضبابية الرؤية والأهداف والخطة عند المقاومين، تفاوت موازين القوى بين المتحاربين، تصرفات بعض المقاومين في مراكش، استبداد الحُجَّاب المقربين من الهيبة، دور مجال المعركة (السهل)، وأخيرا الاصطدام بالجو الحضري، فحسب ابن خلدون «إن البدو يفسد إذا دخلوا الحضر».

### ج- مربيه ربه ونهاية حركة آل ماء العينين (1919-1934):

لقد ذُكرت أسرة ماء العينين «المقاومة» في سياق مترابط كما أشرنا إلى ذلك، إلا أن لكل شخصية خصوصياتها. فإذا كان الشيخ ماء العينين قد مقاومته انطلاقا من تخوم الصحراء المغربية، وأحمد الهيبة من سوس، فإن مربيه مربه قاد حركته في ظرفية إقليمية اشتد فيها الصراع بين هشتوكة وتيزنيت المحاصرة. وكان من أهم محطات هذا الأخير التي سجلها لنا المؤرخ السوسي:

- أنه كان من أحد العاركين بهشتوكة بيد القائد الناجم الأخصاصي.
- أنه كان ممن جعجعوا بابن دحان في بعض حصارات تيزنيت.

1- المصدر نفسه، ص 104.

وبوفاة الهيبة تهيأ مربيه ربه ليقوم مقامه، وقد وجد في فقهاء سوس سندا قويا له، حيث اجتمع كل من الأفراني، أبو الحسن الإليغي، سيدي الطاهر البعقيلي الزكري، سيدي موسى بن صالح الأغرابوني، سيدي خالد الترجيني، ابن عمرو، سيدي سعيد الأجماري، الحسن الأزاريفي، وأعلنوا بيعة مربيه ربه رئيسا للمجاهدين، وكان ذلك يوم 25 رمضان 1337 هـ/ 1919م. ومنذ ذلك اليوم تسمى مربيه ربه بـ «محمد المصطفى» كاسم رسمي له. غير أن سياسته كانت محط انتقاد أعراب الصحراء قبل غيرهم، وكان من مؤاخذتهم عليه: انقياده الكبير للقائد المدني، غياب تلك الصفات التي عهدوها في سلفه أحمد الهيبة من كرم وعفة لما في الأيدي...، وإحداثه لضريبة سنوية تؤدي من خلالها كل أسرة ريالا حسنيا مغرما واجبا وإلزام الناس على إعطائه الهدايا والضيافات، وإقحامه نفسه في متاهات الخلافات القبلية... كل ذلك أثر بلا شك على مسيرة حركته. لتكون أيام حياته في كردوس - حسب المختار السوسي - أيام فساد.

وبذلك يكون المختار السوسي قد رصد لنا التحولات التي تطرأ على سير المقاومة عند تغيير القيادة. ورغم أن حركة مربيه ربه دامت حوالي خمسة عشر سنة (1919-1934)، مما يبين طولها بالمقارنة مع سابقاتها، إلا أن المؤرخ السوسي لم يسبر أغوارها بشكل كاف. فهل المقاومة بزعامة مربيه ربه لم تحقق مكاسب تستحق أن تذكر؟؟

وعموما، إن تأريخ محمد المختار السوسي لموضوع المقاومة في الجنوب المغربي لهو انعكاس واضح لهمومه ووعيه الوطني والتاريخي في ظرفية التكالب الاستعماري على المغرب. ومن ثم فإعادة قراءة ودراسة هذه المادة المصدرية التي قدمها يشكل «استمرارا لهذا الوعي».